سيناء (الأرض المباركة)

قالوا: وكلمة سيناء- بفتح السين والمد على الراجح- معناها: الحسن باللغة النبطية.
أو معناها: الجبل المليء بالأشجار.
وقيل :مأخوذة من السنا بمعنى الارتفاع.

@@ أرض سيناء هي أرض مباركة ذكرها الله تعالى في القرآن صراحة مرتين:

قال تعالى: **{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} (المؤمنون: ٢٠) ،**
شجرة مباركة تخرج من هذا الوادي المقدس الذي كلم الله-تبارك وتعالى -عليه موسى- عليه السلام- وهو المعروف بطور سيناء.
أى :بالجبل المسمى بهذا الاسم في منطقة سيناء، ومكانها معروف.
وخصت شجرة الزيتون بالذكر: لأنها من أكثر الأشجار فائدة بزيتها وطعامها وخشبها، ومن أقل الأشجار- أيضا- تكلفة لزارعها.
وخص طور سيناء بإنباتها فيه، مع أنها تنبت منه ومن غيره، لأنها أكثر ما تكون انتشارا في تلك الأماكن، أو لأن منبتها الأصلى كان في هذا المكان، ثم انتقلت منه إلى غيره من الأماكنأو لآنها من أفضل الأشجار للزيتون هناك.
وقوله: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ بيان لمنافع هذه الشجرة على سبيل المدح، والتعليل لإفرادها بالذكر.
والدهن: زيت الزيتون.
فالباء في قوله بِالدُّهْنِ للمصاحبة والملابسة، كما تقول: خرج فلان بسلاحه.
أى :مصاحبا له. والتقدير: تنبت ثمارها مصحوبة بالدهن.
والصبغ في الأصل: يطلق على الشيء الذي يصبغ به الثوب.
والمراد به هنا: الإدام لأنه يصبغ الخبز، ويجعله كأنه مصبوغ به.
أى: أن من فوائد هذه الشجرة المباركة أنها يتخذ منها الزيت الذي ينتفع به، والإدام الذي يحلو معه أكل الخبز والطعام.
روى الإمام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة. »
وقوله تعالى: { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} (التين: ١ – ٣).
اتفق المفسرون على أن المراد بطور سينين: الجبل الذي كلم الله-تبارك وتعالى -عليه موسى- عليه السلام-
ومعنى سينين: المبارك الحسن ..وقال مجاهد: سينين كل جبل فيه شجر مثمر، فهو سينين وسيناء.
وأقسم -سبحانه – به؛ لأنه من البقاع المباركة، وأعظم بركة حلت به ووقعت فيه، تكليم الله-تبارك وتعالى-، لنبيه موسى- عليه السلام.-
@@
ومنها: أنَّ اللهَ تعالى وصفَ سيناءَ بالأرضِ المقدسةِ والمباركةِ: قال تعالى: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}.(طه:١٢،١١). وقال تعالى: { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}. (القصص:٣٠).

@@ فيها جبلُ طورِ سيناءَ والتجلياتُ الربانيةُ

إنَّ جبلَ طورِ سيناءَ مِن أعظمِ الجبالِ على وجهِ الأرضِ كافةً، وهو أكثرُ الجبالِ ورودًا في القرآنِ الكريمِ، حيثُ وردَ لفظُ (الطورِ) عشرَ مراتٍ، وسُميتْ باسمهِ سورةُ الطورِ، ولأهميةِ هذا الجبلِ أقسمَ اللهُ بهِ مرتين،

إنَّ هذا الجبلَ العظيمَ (جبلَ الطورِ) هو الجبلُ الوحيدُ الذي حظيَ بالتجلياتِ الإلهيةِ والأنوارِ الربانيةِ، حينمَا واعدَ اللهُ موسَى عليه السلامُ أنْ يكلمَهُ على هذا الجبلِ. {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) } [الأعراف: ١٤٣] ولكن موسَى عليه السلامُ لم يكتفِ بالكلامِ بل طمعَ شرفًا أنْ يتجلَّى برؤيةِ اللهِ تعالَى، ولكن طبيعةُ موسى البشريةِ لا تسطيعُ أنْ تتحملَ هذه التجلياتِ النورانيةَ، واللهُ الكريمُ لم يضعْ موسى عليه السلامُ في حرجٍ أو يردّ مطلبَهُ ومناهُ، فعلقَ رؤيتَهُ على استقرارِ الجبلِ، ليقنعَ موسَى عليه السلامُ عمليًا أنْ طبيعتَكَ البشريةَ لا تتحملُ ذلك، فإذا كان الجبلُ الأصمُّ الشامخُ اندكَّ وصارَ رملًا ، فكيف بالإنسانِ الضعيفِ؟! وهنا أيقنَ موسَى عليه السلام بذلك، وقدّمَ اعتذارَهُ وتوبتَهُ لمولاهُ: { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}. على أنَّ ذلك لا ينفِي رؤيةَ المؤمنينَ ربّهُم في الآخرةِ، لأنّ كلَّ حياةٍ لها كنهُهَا وطبيعتُهَا، فالحياةُ الدنيا، غيرُ حياةِ البرزخِ، غيرُ الحياةِ الآخرةِ، وقد ثبتتْ الرؤيةُ في الآخرةِ بنصِّ القرآنِ والسنةِ. قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}.(يونس: ٢٦). فالحسنَى هي الجنةُ، والزيادةُ هي رؤيةُ اللهِ تعالى في الآخرةِ. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ " قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ: " هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ " فَقَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ". (متفق عليه).

@@ علاقة اليهود بسيناء وفلسطين:

قال تعالى:

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦)}

لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم، ذهبوا قاصدين بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} بقلوبكم وألسنتكم. فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ} يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتكم الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون {وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

{وَآتَاكُمْ} من النعم الدينية والدنيوية {مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.
فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} .
أي: المطهرة {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم. {وَلا تَرْتَدُّوا} أي: ترجعوا {عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} قد [ص:٢٢٨] خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم. وآخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتم -بمعصيتكم- من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله.
{يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها.
{وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا.
{قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} الله تعالى، مشجعين لقومهم، منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. {أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا} بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر واليقين.
{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمَرَاهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ} فإن في التوكل على الله -خصوصا في هذا الموطن- تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، فقالوا قول الأذلين: {يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} .
فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم.
وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم -حين شاورهم في القتال يوم "بدر" مع أنه لم يحتم عليهم: يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: {اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.
فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه {قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي} أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. {فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.
{قَالَ} الله مجيبا لدعوة موسى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، وتلك

المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر.
ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.
ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتمها، قال: {فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا.

والمعنى :قال الله-تبارك وتعالى -لنبيه موسى مجيبا لدعائه: يا موسى إن الأرض المقدسة وهي بيت المقدس محرمة على هؤلاء الجبناء العصاة مدة أربعين سنة، يسيرون خلالها في الصحراء تائهين حيارى لا يستقيم لهم أمر، ولا يستقر لهم قرار، فلا تحزن عليهم بسبب هذه العقوبة فإننا ما عاقبناهم بهذه العقوبة إلا بسبب خروجهم عن طاعتنا، وتمردهم على أوامرنا، وجبنهم عن قتال أعدائنا، وسوء أدبهم مع أنبيائنا.
@ الرد على اليهود في دعواهم أن الأرض المقدسة- فلسطين- ملك لهم مستندين إلى قوله- تبارك وتعالى :-ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
للمفسرين أقوال في المراد من الكتابة في قوله-تبارك وتعالى -ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ أشهرها قولان:
@ أولهما: أن معنى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ: أمركم بدخولها، وفرضه عليكم كما أمركم بالصلاة والزكاة فالكتب هنا مثله في قوله-تبارك وتعالى -كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ :أى :فرض عليكم وهذا قول قتادة والسدى.
@ والثاني: أن معنى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ قدرها لكم وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين.
وهذا القضاء مشروط بالإيمان، وطاعة الأنبياء، والجهاد في سبيل نصرة الحق، فإذا لم يكونوا كذلك- وهم لم يكونوا كذلك فعلا- لم يتحقق لهم التمكين في الأرض المقدسة، ولذا بعد أن أغراهم نبيهم موسى- عليه السلام- بدخولها، حذرهم من الجبن والعصيان فقال لهم: وَلا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خاسِرِينَ.
قال الآلوسى: «وترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان قطعا.«
<u>وقال ابن عباس: كانت هبة من الله لهم ثم حرمها -سبحانه - عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم.</u>
وقال الفخر الرازي: إن الوعد بقوله كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط.«
والخلاصة أن الكتابة في قوله-تبارك وتعالى -كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ: إما أن تكون تكليفية على معنى: أن الله-تبارك وتعالى -كتب عليكم وفرض أن تدخلوها مجاهدين مطيعين لنبيكم فإذا خالفتم ذلك حقت عليكم العقوبة.

وإما أن تكون كتابة قدرية.
أي :قضى وقدر -سبحانه - أن تكون لكم متى آمنتم وأطعتم.
وبنو إسرائيل ما آمنوا وما أطاعوا، بل كفروا وعصوا فحرمها -سبحانه - عليهم.
وبذلك ترى أن دعوى اليهود بأن الأرض المقدسة ملك لهم، بدليل قوله-تبارك وتعالى -كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ لا أساس لها من الصحة ولا يشهد لها عقل أو نقل.

@إن هذا التيه هو إحدى عقوبات الله عز وجل على مخالفة أمره وأمر أنبيائه؛ فإن بني إسرائيل مع إيمانهم بالله عز وجل في ذلك الوقت, وكانوا شعب الله المختار, وكان فيهم نبي من أولي العزم, إلا أنهم لما تخلفوا عن أمرٍ من أوامر الله, -وهو الجهاد- عاقبهم الله بالتيه أربعين سنة, ولا شك أن هذه العقوبة لم تكن خاصة ببني إسرائيل, بل تشمل كل من فعل مثل فعلهم من الأمم من بعدهم, فقد قال تعالى :﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾]العنكبوت:٤٠.[

والله لا يحابي أحدًا من خلقه، والشرعُ لا يفرق بين متشابهين، ولا يسوي بين مختلفين.

ومع أننا خيرُ أمة أخرجت للناس، وأن بأيدينا القرآن، إلا أننا دخلنا تيهًا أكبر مما دخله بنو إسرائيل، فكم تخلفنا عن أمر من أوامر الله؛ من ترك للجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلاة، والصيام، وغير ذلك، من أوامر الشرع، فكان حقًّا علينا أن ندخل ذلك التيه، وقد دخل بنو إسرائيل التيه في واد واحد وهو سيناء، ودخلنا نحن في أوديه متفرقة.

فدخلنا في تيه العلمانية، والاشتراكية، والرأسمالية، والقومية، ومع الأسف فقد أخذ كل تيه أكثر من أربعين سنة، وما زلنا في التيه.

والتيه هو رمز للبعد عن الهدف والغاية والتمكين، فكان لبني إسرائيل في بعدهم عن الأرض التي كتب الله لهم أربعين سنة، وكان التيه لهذه الأمة أيضا في البعد عن الوعد الذي وعدهم الله من التمكين في الأرض، وأن يدخل هذا الدين كل بيت من مدر و وبر.

فكيف الخروج من هذا التيه أو المتاهات؟
لقد خرج بنو إسرائيل من التيه بعد أربعين سنة، واستجابوا لأمر الله على لسان نبيهم فمكن الله لهم، ولكن لنقف أولاً عند الأربعين سنة، لماذا كانت أربعين سنة، وماذا حدث فيهن، حتى تتحول العقوبة إلى نصر وتمكين، بل ومعجزات أيضًا.

لقد بلغ العناد والجحود من بني إسرائيل مبلغًا عظيمًا، حتى شق منهم الصالحون الثياب، كما فعل يوشع بن نون -ولم يكن بعد نبيا- ولكن هذه كانت الحقيقة أن بني إسرائيل لم يكونوا مؤهلين بعد لهذا التمكين، فكان التيه.

وفي الحقيقة إن عقوبة التيه كان فيها رحمة من الله لبني إسرائيل، فلم يهلكهم الله كما فعل بالأمم السابقة، عندما تخلفوا عن أمر أنبيائهم، ويتجلى ذلك في النعم التي أنعم الله عليهم بها في هذا التيه، مثل الغمام، والمن، والسلوى، والحجر، إذًا فالله لا يريد أن يهلكهم بل يريد أن يربيهم.

فكانت مدة التيه لتربية بني إسرائيل، على الامتثال لأمر الله عز وجل، لقد هام بنو إسرائيل على وجههم في الصحراء أربعين سنة، وانقطعت بهم السبل، لا ظل، لا طعام، لا شراب، وكان المصدر الوحيد لهذه الضروريات هو الله سبحانه وتعالى، بمعجزات ظاهرة، فإذا أرادوا أن يأكلوا جاءهم المن والسلوى من السماء، وإذا أرادوا أن يشربوا، فمعهم الحجر الذي ينفجر منه الماء، فأكلهم وشربهم معجزة من الله، ليترسخ عندهم عقيدة التوكل على الله، وأن الله على كل شيء قدير.

وفي ذلك درس للمربين، أن تعلقَ جيل التمكين بربه هو أول وأهم أسباب نصرته، وأن الله خلق الأسباب لنتعبد بها لا لنعبدها، وهو سبحانه قادر على نصرنا بدونها، ولكن إذا صح التوكل منا.

ومع هذه النعم، تأتي أيضا الابتلاءات، لتقيم الجيل الجديد، مثل قصة العجل، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ *فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾]البقرة: ٧٣- ٧٤.[

ليرى الله أثر هذه النعم على قلوب بني إسرائيل.

فظل موسى عليه السلام يربي، ويتعاقب فيهم الأنبياء من بعد موسى، وكان منهم داوود عليه السلام، وطالوت، وما زال الله يبتليهم، حتى في طريقهم إلى المعركة الكبرى، قال تعالى :﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾]البقرة :٢٥٠.[

حتى تقول الروايات إنه لم يثبت مع طالوت بعد فتنة النهر، إلا ثلاثمائة وأربعة عشر، ثم نزل نصر الله على الفئة المؤمنة الصابرة.

إن طول مدة التيه وقصرها، والخروج منها، متوقف على مدى امتثال العباد لأمر الله عز وجل، وسعي المربين لذلك، بكل ما أتوا من قوة، والعمل المستمر، ليل نهار، للأخذ بخطام الأمة للانقياد لربها.

وينبغي للدعاة أن لا يحزنوا عند الفتن والابتلاءات، فما هي إلا اختبارات، لإظهار مدى استجابة الأمة لأوامر ربها، والصبر عليها، بل عليهم السعي المستمر، للتأمل في الفتن، والبحث عن حكمة الله فيها، ثم السعي لرأب الصدع، وتلافي الأمر، وعدم الاستعجال للخروج بجيل التمكين، فالتأخير خير من العودة من تحت الأسوار، بجيل مغضوب عليه معاقب، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

فالخروج من التيه ربما يطول لسنوات، وربما يستبدل الجيل، كما حدث مع بني إسرائيل، أو حتى أجيال، ولكن لن يكون تمكين إلا برضى الله؛ قال تعالى :﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾]النور : ٥٥.[

نسأل الله أن يرد الأمة إلى دينها ردًّا جميلا.